مقدمـــــة

نعيش في هذه الأيام أحداثا خطيرة، ومحنا أخطر وأفظع، إنها مشكلة المسلمين عامة، والعرب خاصة، قضية الأرض المقدسة التي استولى عليها اليهود عنوة، فلسطين العربية المسلمة، ومن بينها خاصة بيت المقدس، أولى القبلتين وثالث الحرمين، يعانى أهلها التخريب والتدمير والقتل والرعب، وكل الأسلحة المحرمة التي لا تفرق بين الطفل والشيخ والمرأة والمناضل وإنما تقع على رءوس الجميع فتسحقهم سحقا، والعالم كله بين متفرج لا يبالي، أو موال للصهيونية يدعمها بالمال والسلاح وفى ميدان السياسة والمؤسسات الدولية، والمسلمون، والعرب على رأسهم، ضعاف عاجزون، أو مستهترون جاهلون بالتاريخ لا يبالون.

ما أشبه اليوم بالبارحـــة!

بل ما أبعد اليوم عن البارحة، فبالأمس اتحدنا وقاتلنا واستردنا أرضنا وقدسنا وطردنا الصليبيين خارجها، بعيدا عنها، فمتى يأتي هذا اليوم. الله وحده يعلم!

مع العجز والقهر والضعف، تتلفت الشعوب العربية والإسلامية حولها، وبين زعمائها تبحث عن قائد بطل يعيد سيرة صلاح الدين، ويمسح عن جباة المسلمين عار الذل والاستسلام.

لقد غيّر صلاح وجه التاريخ على أيامه، لا بالانتصار في الحرب، وإنما بالمبادئ السامية التي أصّلها، مبادئ تحترم العدو، ولا تتجه في قتالها لغير

المحارب، إنها المبادئ السامية التي قدّرتها الشريعة الإسلامية في الدفاع عن النفس والعقيدة، وتحرير الوطن.

لقد برز صلاح بين معاصريه قائدا يمتلك كل مؤهلات البطولة والزعامة يملك الإرادة والفطنة، ويدرك ما هو مطلوب لتحقيق غاياته، وأهدافه، وبلغها فعلاً، وحقق أمل أمته فيه، فطهر بيت المقدس من أدران الصليبيين، وفى ضوء الأحداث التي نعيشها فرض اسمه على الذاكرة العربية، باحثة وقارئة ومتأملة، لعلنا نهتدي إلى المبادئ التي احتذاها في حياته فقادته إلى النصر، فنأخذ بها علّها تهدينا إليه أيضاً، ومن هنا كان تفكيري في بعث صورة لجوانب من حياته، من خلال تأمله في مرآة المصادر العربية والغربية، كيف كنا نراه بيننا، وكيف كان يراه أعداؤه وأعداؤنا.

وراء اختياري موضوع: "**صورة صلاح الدين الأيوبي في الرواية التاريخية [العربية والإنجليزية]، في القرن التاسع عشر (دراسة مقارنة)**" ثلاثة أسباب جوهرية: **أولها** إعجابي الشديد ببطولة القواد المسلمين العظام الذين رفعوا راية الإسلام شرقا وغربا، عبر قرون طويلة، من الصين إلى شاطئ الأطلنطي، ومن وسط أوربا إلى أعماق أفريقيا، فأعطوا المثل عاليا وقويا لعظمة الإسلام، ومعنى الجهاد في سبيل الله. **وثانيها** أن معظم الدراسات الحديثة التي تناولت شخصية صلاح الدين الفذة وقفت عند الجانب التاريخي فحسب: سيرته وحروبه وانتصاراته، ولم تتناوله نموذجا استلهمه المبدعون من شعراء وروائيين ومسرحيين إلا بقدر يسير، وعرضا أحيانا.

وثالثها رغبتي في توضيح صورة هذا البطل المسلم كما رآها الإبداع الغربي، وكان القائد الذي هزمهم، وأخرجهم من فلسطين والقدس، واخترت الرواية التاريخية من بين مجالات الإبداع المتعددة، لأن الراوية تتسع بطبيعتها

وبنائها لتقدم جوانب متعددة من حياته، ولتعرض تفصيلات وافية عنه، قائدا وإنسانا، ومن ثم يمكن المقارنة بين الرؤية التاريخية والرؤية الإبداعية، فيم يتفقان و فيم يختلفان، وما وراء هذا الاتفاق والاختلاف من أسباب.

والمنهج الذي تسير عليه هذه الدراسة هو المنهج التاريخي المقارن، وهو الذي يجعل "**العلاقة السببية**" أصلاً وأساسا للمقارنة، ويهمل ألوان التشابه التي تجيء عرضا[1] ويتجلى ذلك واضحا فيما أبدعه كل من **والترسكوت في رواية الطلسم وريدر هجرد فى روايته الشقيقان ، وتأثر جورجى زيدان بهما في رواية صلاح الدين ومكايد والحشاشين**، وذلك بداهة في الفترة الزمنية، والنوع الأدبي الذي حدده البحث.

لا أعرف دراسة مستقلة وقفت عند هذا الموضوع وأعطته حقه كاملا، ولكن هناك بعض الدراسات المهمة التي سبقتني ومسته عرضا أو تناولت جانبا منه، وقد وقفت عندها وأفدت منها، وهذه الدراسات هي:

١- "**الرواية التاريخية في الأدب المصري الحديث: دراسة نقدية**" وهى رسالة تقدم بها السيد فضل فرج الله لنيل درجة الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٧٨.

قدمت دراسة السيد فضل قراءة نقدية لنصوص من الرواية التاريخية تمثلت في عرض نموذجين يمثلان "التوازن في البنية الروائية"، وذلك من خلال رواية "ورقة الآس" لأحمد شوقي، ورواية "صلاح الدين ومكايد الحشاشين" لجورجي زيدان، لأن رواية شوقي تمثل أنضج ما قدم من روايات، أما رواية جورجي

(١) أ.د الطاهر أحمد مكى، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ص٧٧، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م

زيدان فلأنها تمثل فن الكاتب في أنضج صوره، ولأنها تمثل تأثره بتقاليد الرواية التاريخية خاصة عند والترسكوت، ولأنها أخيراً لم تكن الرواية التاريخية الوحيدة التي قدمت صلاح الدين بطلاً لعمل روائي.

وذكر الباحث أن سكوت كان يختار فترات زمنية قريبة نسبياً من تاريخ بلاده، خاصة في العصور الوسطي، ويتخذ للحوادث التاريخية من العناصر ما يضفي علي روايته الطابع الإنساني. وعادة ما تكون اللوحات التاريخية التي تزخر بها رواياته حيوية وصادقة حين يتعلق الأمر بالقرى الإسكتلندية وحياة فلاحي أو رعاة هذه القرى في أكواخهم البسيطة.

كما أشار الباحث – في الإطار النظري لدراسته – إلى كتابات السيرهنري ريدرهجرد، ووصفها بالدقة، والاهتمام بالتفاصيل التاريخية، والتعبير عن التاريخ بإحساس فني روائي يحاكي ألف ليلة وليلة؛ تلك الأمور التي اشتهرت بها روايات الشرق عند الغرب، ويستطرد الباحث: إن روايات هجرد تدور أحداثها حول وصف الكواكب والحفلات المختلفة، وقال إن هجرد لم يكن يتبع منهجاً متوازنا في البناء الفني الروائي.

وتوصل الباحث إلى عدد من النتائج أهمها:

- أن كتاب الرواية في الأدب المصري الحديث تأثروا بالاتجاهات الأوربية الحديثة في أعمالهم الروائية من خلال توازن عناصر الأحداث التاريخية بالخيال، وهو نفس الاتجاه الذي سار علية والترسكوت رائد هذا الاتجاه.
- كما توصلت دراسة السيد فضل إلى أن كتاب الرواية التاريخية في الأدب المصري الحديث استطاعوا رسم الشخصيات الروائية التي تجتمع فيها عناصر الأسلوب الفني الذي ساقه من خلال الأحداث.

٢- وهناك رسالة ماجستير أخرى غير منشورة لصباح عبد الرحمن عوض الله هيكل، بعنوان "**الرواية التاريخية في أدب نجيب محفوظ وريدر هجرد**" دراسة نقدية مقارنة، جامعة الزقازيق، ١٩٩٧م.

- وقدمت هذه الدراسة عرضا لأهم روايات نجيب محفوظ التاريخية وريدرهجرد، وتوصلت إلى عدة نتائج من أهمها:
- أن الرواية التاريخية وإن كانت إحدى اكتشافات المذهب الرومانسي وتدين له بالوجود، وتقترب من طريقته في المعالجة الفنية إلا أن الرواية التاريخية عند هجرد ومحفوظ تكاد تقترب من الواقعية من حيث التعبير أو الالتزام بموقف من خلال الصور التي يقدمها الكاتبان فى روايتيهما.
- كما وجدت هذه الدراسة أن هجرد كان مهتما برصد الأحداث في البلاد التي يسيطر عليها الاستعمار الغربي، وهو الاتجاه نفسه عند نجيب محفوظ ولكن الأخير يختلف عنه لأن كتاباته كانت تدعو لمقاومة الاستعمار والفساد الملكي في البلاد.
- وأبانت الدراسة أن خواتيم الأعمال الروائية لمحفوظ تؤكد أن الشعب سيحالفه النصر في عصر اشتد فيه طغيان الملكية، مشيدا بأصالة أبناء الشعب وبقدراتهم على قيادة البلاد من أبناء الملوك في عمل يبين الاتجاه القومي لمحفوظ كما فعل هجرد من قبل.

٣- رسالة عفاف إسماعيل رشدي، وموضوعها: "**العناصر الرومانسية في روايات والترسكوت، مع الرجوع خاصة إلى روايات وايفرلى كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨١م**[*]" قدمت هذه الرسالة عرضا لرواية "Waverly" التي كتبت عام ١٨١٤م حيث أحدثت طفرة في مجال تاريخ الأدب، وكانت

(*) Afaf Esmail Rushdy " the roman tic elements in sir walter scotts' fiction with special reference to the Waverley novels, Art fas Ain shams univ, 1981

بمثابة إرساء دعائم تاريخ الأدب وسمة من سمات ذلك العصر وميلاد عمل أدبي جديد، واستطردت الباحثة قائلة إن الشاب" Edward Waverly كان يحلم بالشرف، والحب والإخلاص، ويصبح جنديا في جيش "Hanoverian" بالرغم من أن ولاء عائلته كان لـــ"Jacobite"

وقد توصلت الباحثة إلى عدة نتائج من أهمها:

- أن أسلوب رواية "Waverly" متشابه مع أولي روايات "Jane Austin" حيث تخضع للأفكار الرومانسية لاختيار صعب يؤكد الحاجة إلى تواجدها.

٤- دراسة أحمد على جويلي، بعنوان "**جهود جورجي زيدان في الدراسات الأدبية واللغوية**" وهى رسالة ماجستير تقدم بها إلى كلية الآداب، جامعة الإسكندرية وفيها تناول الباحث بالدرس والتحليل – روايات زيدان الإسلامية ورتبها ترتيبا يتفق مع تواريخ إصدارها، ومن ثم قام بتحليل هذه الروايات وعرضها، مبينا أهم الانتقادات التي وجهت إليها.

وتوصلت دراسته هذه إلى عدة نتائج من أهمها:

- أرجع الباحث سبب تمسك زيدان بالحقيقة التاريخية في رواياته إلي حرصه على إيراد الحقائق التاريخية، وإبقاء الصورة المثالية لأبطال رواياته، وهى شخصيات كان لها وجود وتأثير على التاريخ الإسلامي، حتى تبقى هذه الصورة في أذهان الناشئة.
- قدم الباحث لمؤلفات زيدان التاريخية والعلمية والاجتماعية، وذكر بعض الآراء التي تتعلق بكتاب زيدان " الفلسفة اللغوية" وكتاب "اللغة العربية كائن حي" وهناك بعض الدراسات الأخرى مثل:

- ♦ دراسة غادة محمد أحمد عفيفي، وموضوعها" القصة التاريخية عند جورجى زيدان" رسالة ماجستير، كلية الألسن، جامعة عين شمس،١٩٩١م.
- ♦ دراسة محمود عبد المجيد أحمد شريف" الرواية التاريخية وتطورها في الأدب الحديث في مصر ١٨٩١ – ١٩٣٩" رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٩م.

ولكن هذه الرسائل لم تشر إلى تأثر جورجى زيدان بوالترسكوت وريدرهجرد أو قارنت بينهما.

وقد واجهت الباحثة صعوبات عديدة أثناء إنجاز هذه الدراسة، أشير هنا إلي بعضها:

- ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، لأن معظم الدراسات التى تعرضت لها الباحثة تتناول الجانب التاريخي، أما الجانب الأدبي فلم يتناوله أحد من الباحثين وهذا أرهق الباحثة كثيراً[١].
- ومما أرهق الباحثة – في المراحل الأولى للبحث ترجمة لغة الأدب وربطها بواقع النصوص الحي، وظل ذلك عائقاً نفسيا ملازما لي فترة طويلة.
- وكان من أهم الصعوبات عدم توافر بعض الكتب القديمة العربية والإنجليزية والواجب علىّ التعامل معها وتحليلها، وقد ساعد الباحثة لتجاوز هذه الصعوبة وجود عدد كبير من النصوص متشابهة في مستواها الفني والبنائي مما جعل الاستشهادات النصية متنوعة.

(١)لـــم تقـــع الباحثة فى نطاق قراءتها المحدودة على عمل سبق وتناول صورة صلاح الدين الأيوبي في الرواية التاريخية، وإن كانت قد استرشدت بدراسة الدكتور السيد فضل " الرواية التاريخية في الأدب المصري الحديث " دراسة نقدية، ١٩٧٨م

الفصل الثالث: صلاح الدين الأيوبي في الرواية التاريخية الإنجليزية (في القرن التاسع عشر) تحدثت فيه عن ظهور الرواية في إنجلترا في القرن الثامن عشر ومن أهم أنواعها الرواية التاريخية والأسباب التي أدت إلى نشأتها، وأهم كتابها، مع ترجمة لحياة والترسكوت وريدر هجرد وأهم أعمالهما.

الفصل الرابع: صلاح الدين الأيوبي في الأدب العربي.

تحدثت فيه عن صورة صلاح الدين عند الشعراء العرب فقد ظل الشعر في خدمة السلطان صلاح الدين منذ توليه الحكم حتى وفاته، فأخذ الشعراء يسجلون انتصاراته، ويهنئونه بفتوحاته وخاصة فتح بين المقدس واسترداده من أيدي الصليبيين. ومما قاله الشعراء تعرفنا علي الكثير من صفاته مثل العدل والكرم والشجاعة والتقوى والزهد والتواضع. كما تحدثت عن صلاح الدين عند الناثرين في مؤلفاتهم ورسائلهم كما عرضت لموقف الأدب الشعبي من بطله صلاح الدين الأيوبي.

الفصل الخامس: الرواية التاريخية في مصر في القرن التاسع عشر.

تحدثت فيه عن بداية الرواية التاريخية العربية، وأهم معالمها وأنواعها مع ترجمة لحياة جورجى زيدان وأهم أعماله.

الفصل السادس: صورة صلاح الدين الأيوبي في الرواية الإنجليزية والعربية

وعرضت فيه لعلاقة التأثير والتأثر بين جورجى زيدان فى روايته "صلاح الدين ومكايد الحشاشين ومدى تاثره بكل من السير والترسكوت Sirwalter Scott في ورايته الطلسم""The Talisman" والسير هنري ريدر هجرد فى

روايته الشقيقان "The brethren" كما عرضت لأوجه التشابه والاختلاف بينهم.

ثم جاءت الخاتمة راصدة لأهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة ومزيلة بما عنّ لها من توصيات يتم بها الإفادة المستقبلية من هذا الجهد، ومن اقتراحات يكتمل بها عمق التجربة البحثية، وتحقيق الأمل في طريق الدرس العلمي.

وبعد ... فهذا بحث طالبة في أول الطريق، فإن كان فيه شيء نافع فالفضل لله ولأساتذتي، وإن كثرت الأخطاء فهذا نتيجة علمي القليل أو سوء تقصير مني، والله الموفق والمعين.